ومضات من قلب التغيير
المدن اليمنية تنهض من تحت الركام
الثورة
Fri .17 Sep 2004 ..3/8/1425 - No (14555)
الجمعة ٣ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ١٧ سبتمبر ٢٠٠٤م العدد (١٤٥٥٥)

إذا ارتدى المكان خيلاءه.. وفتح صفحات تاريخه العريق ليطلع الناس على مكنونه... نجد أن مدينة صعدة وضواحيها خاضت معارك الدفاع عن الثورة منذ الساعة الأولى لقيامها وبسالة مطلقة.. أن يتحدث المكان عن نفسه فذلك شاهد عصر فصيح البيان.

استطلاع/ أسامة حسن ساري

سبع سنوات دفاعا عن الثورة.. ثمارها

كانت اكثر المحطات استبسالا وتضحية في الدفاع عن الثورة والنظام الجمهوري

(قشلة) صعدة.. حصن صامد أمام الأحداث

أحداث (وادي العبدين) وقلعة السنارة فاتحة لنتائج المعركة الحاسمة..

■ قلعة السنارة التي تحصن بها المناضلون

جبال رازح الشماء رفضت إيواء النظام البائد.. وحصن القوات في (وايلة) انتصر نهائيا للوطن..

● أودع التاريخ العربي والإسلامي جزءاً هاماً من خزائنه الثرية في محافظة صعدة شمال اليمن.. فصعدة كانت من أشهر هجر العلم، إلا أنها كغيرها من مناطق اليمن، نالها في العقود الزمنية السابقة لسبتمبر ١٩٦٢م شبح الجهل وشظف العيش والحرمان والمرض تحت مظلة التسلط الإمامي.. هذه الظروف كانت حملا تمخضت عنه ثورة عارمة اندلعت في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م من صنعاء لتمتد إلى كافة مناطق اليمن السعيد..

ومسافة الـ٢٤٢ كيلو متراً تفصل صعدة عن صنعاء، لم تجعل صعدة بمنأى عن الثورة، ولم تحل دون وصول الحملات العسكرية إليها لتدافع عن الثورة وترسخ دعائم النظام الجمهوري..

لاشك أن المتتبع للأحداث على ثقة أن هذه المحافظة العريقة دارت فيها رحى الحرب لمدة ٧ سنوات من النضال والكفاح المسلح، لتكون المحطة الأخيرة للعصر البائد..

مهمة الدفاع عن الثورة في محافظة صعدة لم تكن سهلة.. وخاصة أن جغرافيتها وتضاريسها الجبلية الوعرة، بما يعتلي ظهورها من حصون عتيقة وقوية حاول الملكيون اتخاذها عمقا استراتيجيا لدولتهم وملاذا اخيرا لجأوا اليه وتحصنوا به وأشعلوا النار في جوانبه وأسواره وبواطنه، ليصدوا ثورة شعب حالم يتطلع إلى الحرية والضوء والتقدم والتطور والاتصال بالعالم..

(صعدة) ظلت مسرحا للصراعات السياسية والاحداث المتتالية وأبناؤها ظلوا حراسها وأسوارها المنيعة.. أيضا هي منذ قيام الثورة في ١٩٦٢م وحتى دحر الملكية منها في ١٩٧٠م... صاغت بدماء ابنائها الأحرار أسمى ملاحم البطولة والشرف دفاعا عن الثورة المجيدة وترسيخا للقيم والمبادئ الإنسانية والوطنية السامية..

إغلاق الأبواب!!

ما إن بثت إذاعة صنعاء خبر اندلاع الثورة المجيدة، حتى هب أبناء صعدة مشائخ وأعياناً ومواطنين لحماية مدينة صعدة وإغلاق أبوابها الأربعة (باب اليمن) (باب همدان) (باب المنصورة) (باب نجران) التي تتخلل سورها الطيني الذي شيد في القرن العاشر الهجري سنة ٩٤٥هـ.. وارتفاعه (٦ - ٨) أمتار بينما طوله يبلغ حوالي ٤,٥ كم وعرضه ٣,٥ متر.

سور حصين حينها أوصدت أبوابه، وأعلنوا الجمهورية كما حدثنا بذلك المناضل الشيخ/ قائد شويط علي الذي أضاف مؤكدا أنه لم يكتف أبناء صعدة بتحصين المدينة المسورة.. بل في ساعتهم الأولى سيطروا على مبنى (القشلة) المبنية من الطين والأحجار والآجر، ٤ طوابق يحيط بها سور طيني ارتفاعه ٦ أمتار.. مبنية على هضبة من مخلفات الحديد المصهور، أمام (باب اليمن) الجهة الجنوبية لصعدة...

وامتدت سيطرتهم إلى (وادي العبدين) ومنطقة (غراز) يستولون على قلعة السنارة وقلعة الصمع، ويتحصنون بهذه الأماكن المنيعة..

حينها لم تكن صعدة هي التي ازدهرت اليوم بعد أن حصد ابناؤها ثمار تضحياتهم ونضالهم.. شوارعها مسفلته ومرصوفة والتوسع العمراني المنظم يزحف على مختلف الجهات بتسارع والفنادق تتوزع في كل شوارعها، بالإضافة إلى المرافق الخدمية (مدارس، كليات، مستشفيات، مكتبات و.... الخ)..

بل كانت معركتها الأولى للدفاع عن الثورة، في فضاء رحب، مدينة مسورة، وقشلة حصينة.. لا تحيط بهما أي ملامح سكانية.. وعلى بعد حوالي كيلومترين جنوبا مدينة (رحبان) ومدينة (العبدين) المبنية في سفوح الجبال المتاخمة لصعدة حيث قلعة السنارة وقلعة (الصمع)..

هذه الأماكن شكلت أبرز المواقع القتالية التي تحصنت بها قوات الدفاع عن الثورة.. وأرسل أبناء صعدة من قلعة السنارة برقية تأييد للثورة باسم مشائخ وقبائل صعدة كاملة إلى قيادة الثورة في صنعاء.

حملات الدعم

كانت قلعتا (السنارة والصمع) أبرز حصون المناضلين.. حيث شهدتا أول معركة استمرت قرابة ٦ اشهر، كان أبناء صعدة أبطالها.. عندما حاولت قوات الملكية بقيادة محمد بن الحسين بن يحيى حميد الدين والحسن بن الإمام أحمد، الزحف عليهم من منطقة (المسلحقات) التي عسكر بها الملكيون.. وتقع شرق مدينة صعدة بمسافة ٣ كم..

في هاتين القلعتين صمد أبناء صعدة ٦ أشهر رغم ما واجهوا من ضغط شديد من القوات الملكية حتى وصلت أول حملة عسكرية مرسلة من قيادة الثورة قوامها حوالي مائتي جندي بقيادة العقيد/ عبدالرحمن الترزي والشيخ/ أمين حسن أبو راس.. وخرج أبناء صعدة لاستقبال الحملة في منطقة (الزيلة) الواقعة بين منطقتي (رحبان) و(وادعة) جنوب صعدة..

ثم امتدت المعركة إلى مدينة صعدة، وتحصن بها المناضلون حوالي ٣ - ٤ اشهر وهم محاصرون حتى مجيء أول دفعة من القوات المصرية (٦٠ جنديا تقريبا) هبطوا بـ(البرشوت) وتم استعادة قلعتي (السنارة والصمع) والسيطرة عليهما..

ويروي المناضل/ مجلي حمود مجلي أنه في الطريق إلى صعدة.. وبالتحديد شمال بلاد سفيان.. في منطقة العمشية حيث يوجد موقع جبلي على جانب الطريق المسفلته يطلق عليه (المدرج)... منطقة شبه مقفرة.. شهدت هي الأخرى معركة ضروسا... بين الحملة التي يقودها عبد الرحمن الترزي وقوات الملكية التي اعترضت الحملة للحيلولة دون دخولها صعدة.. واستشهد في تلك المعركة النقيب/ فيصل صلاح عوفان، من قبائل (ذو محمد) وحميد جابر مهفل وفهد جبله وآخرون.. مما ضاعف حماس أفراد الحملة وإصرارهم على دخول صعدة ومساندة أبنائها المناضلين..

المطار القديم

وفي شوارع نظيفة وخطوط دائرية مسفلتة تحرسها أحزمة خضراء من أشجار الزينة والزهور، والورود.. حملتنا سيارة إلى جوار مبنى القصر الجمهوري.. الذي بني حديثا في أرض كانت مدرجا لطائرات تهبط فيها وكان ذلك مطار صعدة سابقا.. رابط فيه الجيش المصري من عام ١٩٦٣ - ١٩٦٧م.. لكن تلفت أرض المطار وتلت صلاتها الأخيرة عندما زرعها الجيش المصري بالقنابل والألغام الزمنية لحظات مغادرتهم لمحافظة صعدة حتى لا تهبط فيه طائرات العدو الملكي.. وتفجر المطار كاملا قبل أن يغادر آخر جندي مصري محافظة صعدة..

وخلال تلك الفترة من ٦٣ - ١٩٦٧م.. دارت معارك شرسة وتوسعت الجمهورية وتغلغلت في مفاصل صعدة وشراييننها.. أبدى المناضلون بسالة شديدة في القتال وجرأة وشجاعة في مواجهة رصاص العدو.. يحملهم بساطة الرغبة في التحرر من الظلم والإضطهاد.. لتحقيق حلم وطنهم الذي يرنو إلى المجد والنمو والإزدهار..

وكانت أشهر المناطق التي شهدت ملاحم الدفاع عن الثورة في تلك الفترة من عقد الستينيات كما عددها لنا مجلي حمود هي منطقة (كهلان) وهي منطقة أثرية تحتضن اهم القصور القديمة (قصر كهلان) وجواره (حصن العبلاء) على جبل (ظفار).. وتحصنت الملكية فيه بعد أن دحرها المناضلون من صعدة، كونه أقرب الحصون إلى صعدة في صدر مديرية الصفراء التي تتاخم مدينة صعدة جهة الشرق.. وعلى جبل كهلان تتناثر آثار حصن(هرابة).. أما القصر فموقعه منطقة (القلات) جوار جبل كهلان..

ومعارك دارت في منطقة (قهللة).. أما مديرية (الصفراء) بما فيها من حصون وجبال شامخة وقلاع قديمة فقد سجلت أعظم ملحمة في صعدة.. وكانت من المعارك الحاسمة التي دارت في تلك الفترة.

تزامن ذلك مع حصار السبعين وبعد أن فك حصار السبعين، وقع الفريق/ حسن العمري وثيقة عهد وإتفاق مع مشائخ صعدة لدحر الملكيين..

وتم تنفيذ العملية وقتل عبدالله بن الحسين في (وادي العبدين) مقتله جاء بعد أن عقد مؤتمرا برئاسة عبدالرحمن بن يحيى حميد الدين وشكلا مجلس إمامة برئاسة محمد بن الحسين.

تكالب الملكيين

وأكد لنا الشيخ/ عثمان حسين